

فوائد الذكر

مُنتقاة مِن كتاب

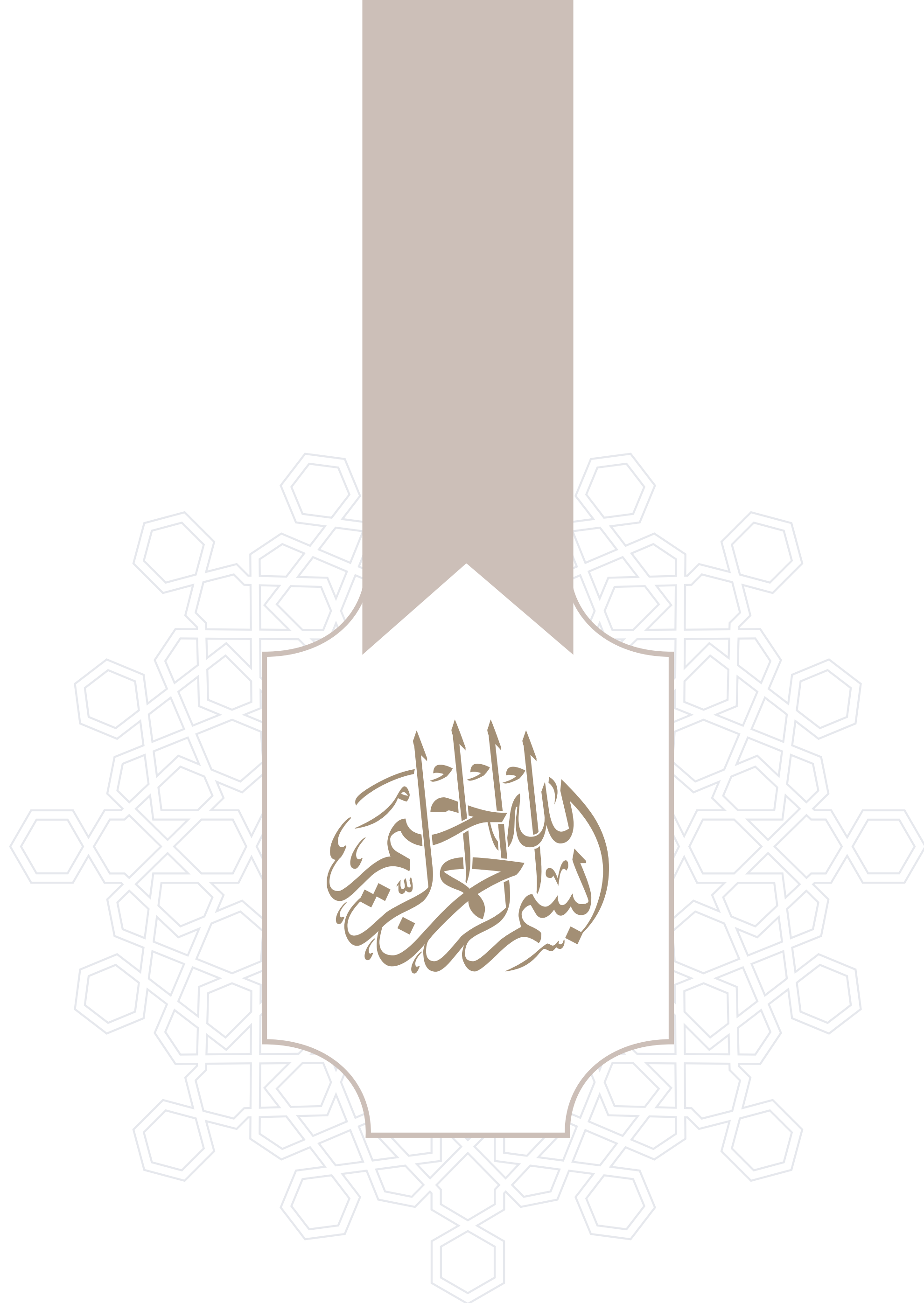
الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب

للإمام

ابن قيم الجوزية

إعداد

عبد الرحمن بن مسعود الحربي


بسم الله الرحمن الرحيم

الفـــهرس

إهداء

إلى كل قلب أنهكته الغفلة فوجد في الذكر دواءه، وإلى كل لسان ابتغى النجاة فبلله بالتسبيح والتهليل؛ أهدي هذه الصفحات، رجاء أن تكون تذكرة للغافل، وبشرى للذاكر.

إلى كل من أراد حياة القلب، وسكينة النفس، وقرب المنزلة من الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إلى الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أهدي هذا الكتاب.

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه وقارئه، وشاهدًا لنا لا علينا.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل ذكرَه حياةً للقلوب، وراحةً للصدور، والصلاة والسلام على سيد الذاكرين محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد:

فإن كتاب «الوابل الصيب من الكلم الطيب» للإمام العلامة ابن القيم رحمه الله يُعدّ من أنفع الكتب في بيان فضل الذكر وآثاره، وقد حوى فوائد عظيمة ومعاني جليلة قد تطول على بعض القرّاء وسبب ذلك استطراد المؤلف في بعض المواضع.

لذلك جمعتُ في هذا المختصر أبرز الفوائد التي ذكرها، مع ترتيبها وتهذيبها، وضمّ ما تشابه منها، ليكون هذا العمل ميسّرًا للقارئ، وليكون أقربَ تناولًا وأيسر فهمًا.

وقد ذكرت بعض الأدلة على الفوائد التي لم يذكر ابن القيم رحمه الله لها دليلا، وربما أزيد بعض العبارات والنقولات عن بعض السلف التي أراها متممة للفائدة وجعلتُ لكل فائدة عنوان مختصراً.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا لذكره وشكره وحسن عبادته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الرحمن بن مسعود الحربي

للملاحظات والاقتراحات:

جــــــوال: 0540002544

بريد إلكتروني: ba0286944@gmail.com

ذكر الله تعالى يطرد الشيطان ويَقْمَعُه ويَكْسِرُه

فالعبد المكثر من ذكر الله: يصرع الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الشَّيطانُ جاثمٌ على قلبِ ابنِ آدمَ؛ فإذا ذَكَرَ اللَّهَ خنسَ وإذا غفلَ وَسوَسَ). أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف

ووُصف الشيطان بالخناس؛ لأنه يخنس إذا سمع ذكر الله تعالى، أي: يتأخر وينقبض، وثبت في الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» فيبحث عن أي فرصة لإغوائه وإغضابه وإحزانه، والوسوسة له في كل أمر -سواء في الطهارة أو الصلاة أو غير ذلك من الوسوسة بحصول المصائب والمكاره-.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ورأيتُ رجُلًا من أمَّتي قد احْتَوَشَتْه الشياطين فجاءه ذكْرُ الله تعالى فطرد الشيطان عنه». رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الترغيب).

فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، وأن لا يزال لَهِجًا بذكره؛ فإنّ العبد لا يُحْرِزُ نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يَدْخُل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يَرْصُدُه، فإذا غفل وثَبَ عليه وافترسه، وإذا ذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ انخنس عدو الله وتصاغر الشيطان وانقمع وانخنس

من داوم الذكر نال رضا الرحمن

وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب الذاكرين ويثني عليهم في الملأ الأعلى وإذا أحبهم وأثنى عليهم رضي عنهم، وإذا رضي عنهم أسبغ عليهم فضله وإنعامه وأعطاهم ما يريدون من خيري الدنيا والآخرة.

قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ اللّهَ ليَرضى مِن العبدِ أن يأكُلَ الأَكلَةَ فيحمَدَهُ عليها ويشرَبَ الشَّربَةَ فيحمَدَهُ علَيها». رواه مسلم

واعلم أن رضى الله عَزَّوَجَلَّ غاية كل مسلم على وجه هذه الأرض فمن أراد رضا ربه فليكثر من ذكره فما تقرب العبد إلى الله بشيء احب إلى الله من كثرة ذكره.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ». رواه أحمد

الذكر يزيل الهم والغم عن القلب

فالهموم والغموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية حاضرة؛ وذلك أن القلب إذا فقد الذكر فقد فقد الشغف والحياة الحقيقية فصار كئيبا حزينا مهمومًا.

فمن غفل عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ حصل له ضيق الصدر وقسوة القلب والهم والغم والاكتئاب وتسلط الشيطان عليه بالوساوس والأحزان، ومن لهج بذكر الله حصل له الفرح السرور وانشراح الصدر، وهذا ثواب عاجل وجنة حاضرة.

لذا فإن المكثرين من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ لايعرفون الضيق والهم والنكد، بل قد شرح الله صدورهم لما ترطبت ألسنتهم بذكره، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد ذكرهم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من فوق سبع سماوات في الملأ الأعلى.

فما وُجد دواء للهموم والغموم والأحزان بمثل الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ والمحافظة والمداومة عليه.

قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ دليل: على أن التهليل والتسبيح يجليان الغموم، وينجيان من الكرب والمصائب.

فحقيق على من آمن بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل التسبيح ملجأ في شدائده، ومطية في رخائه ثقة بما وعد الله المؤمنين من إلحاقهم بذي النون في ذلك حيث يقول: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.



الذكر يجلب للقلب الفرح والسرور والبَسْط

كثرة الذكر يجلب للقلب الفرح والسرور والبَسْط، فإن للذكر من بين الأعمال لَذّةً لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثواب الذكر إلا اللذةُ الحاصلة للذاكر والنعيمُ الذي يحصل لقلبه لكفى به، ولهذا سُمِّيَتْ مجالسُ الذكر: رياضَ الجنة.

قال مالك بن دينار رحمه الله: ما تَلَذَّذَ المُتَلَذِّذُون بمثل ذكر الله تعالى. أخرجه البيهقي

فلا يوجد شيء من الأعمال أخفُّ مؤونة ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب من كثرة ذكر الله تعالى، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، والمعنى: ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوبُ المؤمنين. تفسير الطبري

والذكر له أثر كبير في السعادة القلبية والفرح، وذلك أن الله يجازي من يكثر من ذكره بجنة معجلة في الدنيا من السعادة الغامرة والفرحة والسرور الذي يشرق على وجه العبد المسلم

قال ابن القيم رحمه الله: فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

والمقصود من هذه الفائدة أن ذكر الله تعالى يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا.

الذكر قوةٌ في الجسد والروح

وذلك أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه، وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليا رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين، ويحمدا ثلاثا وثلاثين، ويكبرا أربعا وثلاثين لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك وقال: «إنه خير لكما من خادم». متفق عليه

فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في بدنه مغنية له عن خادم.

والإكثار من الاستغفار سبب لقوة البدن، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن الاستغفار -على لسان هود-: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾. [هود ٥٢]

قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي شِدَّةً إِلَى شدتكم أَي: فِي أبدانكم. تفسير الطبري

وجاء في الأثر أن حَمَلَةَ العرش قالوا: ربنا لِم خلَقْتنَا؟ قال: ﴿خَلَقتُكُم لِحمْلِ عَرْشي﴾. قالوا: ربَّنا، وَمَنْ يَقْوَى على حملِ عرشِكَ وعليه عظَمَتُك وجلالُك وَوَقارُك؟ قال: ﴿لذلك خلقتكم﴾. فأعادوا عليه ذلك مرارًا، فقال لهم: ﴿قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فحملوه﴾. رواه الطبري في تفسيره

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وَتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، وركوب الأهوال، ولها أيضًا تأثير عجيب في دفع الفقر.

ذكر الله يكسو المؤمن مهابة ونوراً وسروراً

الذِّكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾. [الأنعام: ١٢٢]

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: إنَّ أهْلَ السَّماءِ لَيَرَوْنَ بُيُوتَ أهْلِ الذِّكْرِ تُضِيءُ لَهم كَما تُضِيءُ الكَواكِبُ لِأهْلِ الأرْضِ. أخرجه ابن أبي شيبةً

والمقصود: أن الذكر يُنَوِّر القلب والوجه والأعضاء، وهو نور للعبد في دنياه، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة.

فالذكر يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنَّضْرة، كما أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونوراً في الآخرة.

والذاكرون لله جَلَّ وَعَلَا من أنضر الناس وجوها في الدنيا وأنورهم وجوها في الآخرة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

الاستغفار سبب بسط الرزق والعافية في البدن

وأعظم ما يستجلب به الرزق كثرة الاستغفار وملازمته، فالاستغفار من الذكر وهو من أسباب جلب الرزق بنص القرآن، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

وعن ابن عباس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب». رواه أحمد وغيره

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَتاعًا حَسَنًا﴾.

قال مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ: ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتاعًا حَسَنًا﴾ يعني: يعيشكم عيشًا حسنًا في الدنيا في عافية، ولا يعاقبكم بالسنين، ولا بغيره. تفسير مقاتل بن سليمان

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: أي استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها.

فالاستغفار والتوبة سبب؛ لأن يمتّع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً، والمُراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا.



الذكر مفتاحُ الطمأنينة وبابُ المحبة

الذكر يورث العبد المحبة التي هي روح الإسلام وقطبُ رَحى الدين ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله تعالى فَلْيَلْهَجْ بذكره.

فمحبة الله وداوم ذكره والسكون إليه والطمأنينة به هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين لربهم.

فمحبة الله نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أنعم من محبة الله والأنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة وهذا كله يتحصل بكثرة الإكثار من ذكره، فمن أحب شيئا أكثر من ذكره بقلبه ولسانه.

ولهذا أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عباده بذكره على جميع الأحوال وأمرهم بذكره أخوف ما يكونون فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكم تُفْلِحُونَ﴾.

فنصيبك من المحبة على قدر نصيبك من الذكر، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: ﴿أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه﴾». رواه ابن ماجه

بذكر الله تُنال مرتبة الإحسان

الذكر يورث العبد المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان، فيعبد الله كأنه يراه.

ولا سبيل للغافل عن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى مقام الإحسان، فالغافل عن ذكر مولاه لا يمكن أن يصل إلى مقام ومرتبة الإحسان الذي هو «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ومرتبة الإحسان مرتبة عظيمة ومقام شريف لا يصل إليه كل أحد، فمن استغرق في ذكر الله وكان لسانه رطبا به وكان وقلبه حاضر فإن ذلك يورثه مقام الإحسان الذي هو أعظم أبواب العبودية، وأعظم طريق للوصول لمرتبة الإحسان هو الإكثار من ذكر الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمن زاد ذكره لله تعالى وتلاوته كتابة الكريم زاد إيمانه حتى يصل إلى مرتبة الإحسان، فمن رام هذه المرتبة الشريفة والمنزلة العالية الرفيعة فعليه بوصية النبي ﷺ: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى». رواه الترمذي.



الذكر يقود العبد إلى باب الإنابة

الذكر يقود العبد إلى باب الإنابة وهي الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عَزَّوَجَلَّ مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلَةَ قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

فالمكثر من ذكر الله إذا نزلت به نازلة أو حلت به مصيبة يلهمه الله عز وجل أن يفزع إلى ربه وأن يفر إليه ويتوكل عليه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

أما الغافل عن ذكر ربه عَزَّوَجَلَّ فإنه قد تشعب الأمور عليه ويهلك في أودية الدنيا ولايُلهم التعلق بالله تعالى في أحلك الظروف بسبب قلة ذكره لله تعالى وغفلته عنه.

فالذكر لله تعالى يورثك القرب منه، فعلى قدر ذكرك لله عَزَّوَجَلَّ يكون قربك منه، وعلى قدر غفلتك عنه يكون بعدك منه.

والإقبالُ على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضى به وعنه وامتلاء القلب من محبته، واللَّهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته ثوابٌ عاجل، وجَنَّةٌ حاضرة.

ذكر الله مفتاح الفهم والتسديد

الذكر يفتح للعبد باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من العلم والمعرفة فالمكثر من ذكر الله يفتح الله له من أبواب العلم والمعرفة ما لا يجده الغافل عن ذكره، ويجد الذاكر من التسديد في الأقوال والأعمال شيئا عظيما.

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي﴾. متفق عليه

فمن ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كان مسددا موفقاً في أقواله وأفعاله، ومن كان الله معه كان معه كل شيء وفتح الله له أبواب العلم والمعرفة ما لا يجده الغافل المعرض عن ذكر الله تعالى.

بالذكر يزداد القلب إجلالًا لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ

الذكر لله يورث العبد الهيبة لربه عَزَّوَجَلَّ وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه، وذلك أن القلب يصدأ وتصيبه الغفلة وجلاء القلب بالذكر والاستغفار.

قال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: **لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله تعالى.** رواه البيهقي في "شعب الإيمان"

فمن أكثر من ذكر ربه أعقبه ذلك حياة القلب التي بها نجاة العبد في الدنيا والآخرة، وأورثه كذلك الخوف من ربه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وتعظيم أمره ونهيه، فكل ما أكثرت من ذكر الله عظّمت الله تعالى أكثر وكان الخوف منه أعظم والخشية له أتم.

أيُّ شرفٍ أعظم من أن يذكرك اللهُ؟

الذكر يورث ذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لك، كما قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة ١٥٢]

ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً!

وقال ﷺ -فيما يروي عن ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ-: «﴿من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم﴾». متفق عليه

فهو سُبْحانَهُ ذاكر لمن ذكره شاكر لمن شكره، فَذكره سَبَب لذكره وشكره سَبَب لزيادته

وأخْرَجَ أحْمَدُ في (الزُّهْدِ)، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ قالَ: أوْحى اللَّهُ إلى داوُدَ: ﴿إنَّكَ إنْ ذَكَرْتَنِي ذَكَرْتُكَ، وإنْ نَسِيتَنِي تَرَكْتُكَ، واحْذَرْ أنْ أجِدَكَ عَلى حالٍ لا أنْظُرُ إلَيْكَ فِيهِ﴾.

وروى ثابت البناني عن رجل من العباد أنه قال يوماً لإخوانه: إني لأعلم متى يذكرني ربي عز وجل. قال: ففزعوا من ذلك! فقالوا: متى؟ قال: إذا ذكرته ذكرني. حلية الأولياء.



الذكر سبب حياة القلب وزوال قسوته

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟.

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت».

ففي القلب قسوةً لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذِبْه بالذِّكر.

وهذا؛ لأن القلب كلما اشتدَّت به الغفلة، اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذابَت تلك القسوة كما يذوب الرَّصاص في النار، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذِكر الله عَزَّ وَجَلَّ.

فلا سبيل لقلبٍ حي إلا بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن ابتغَى النجاة من موت القلب، فليُكثِر من ذكر الله.



الذكر قوتُ القلوب وغذاءُ الأرواح

الذكر قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ الله: وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي!

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر.

ومعنى قوت القلب: أي ان القلب بدونه يكون قد فقد أهم شيء في حياته وهو القوت الذي يحيا به ويتغذى عليه، فإذا ترك الذكر ترك الغذاء لقلبه.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.



جلاء القلوب بذكر علام الغيوب

الذكر يورث جلاء القلب من صداه، وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب يكون بسبب الغفلة والهوى، وجلاؤه بالذكر والتوبة والاستغفار.

فالاستغفار يصقل القلب وينظفه، كما في الحديث: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب: صقل قلبه». رواه أحمد

وصقل القلب يعني إزالة الأذى بالمسح وإعادة تجديده وتجميله وتنقيته؛ لأن الغفلة عن الاستغفار من أسباب فساد القلب، وتشتته والشعور بالوحشة وقلة الطمأنينة.

فذكرُ الله تعالى هو جلاءُ القلوبِ وصِقالُها ودواؤُها إذا غشيَها اعْتلالُها، وكُلّما ازْدادَ الذّاكرُ في ذكرِهِ اسْتغراقًا: ازْداد المَذكورُ محبةً إلى لِقائه واشْتِياقًا إليه.

وإذا صدأ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، بل يرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أَظْلَم، فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأ واسْودّ، وركِبَه الرّانُ، فَسَدَ تصوّرُه وإدراكُه، فلا يقبل حقًّا، ولا ينكر باطلًا، وهذا من أعظم عقوبات القلب. نسأل الله السلامة منها.

الذكر يضاعف الحسنات ويحط السيئات

ذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من أعظم الحسنات، والحسنات يُذهبن السيئات، وذلك أن الفضل الذي رُتب على الذكر لم يرتب على غيره من الأعمال في كثرة الحسنات وغفران الذنوب والسيئات.

قال النبي ﷺ من قال: «سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». متفق عليه

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجزُ أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يُحط عنه ألف خطيئة». رواه مسلم

وعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله؛ أوصني، قال: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها»، قال: قلت: يا رسول الله؛ أمن الحسنات: لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات». رواه أحمد



الذكر يقرّب العبد من ربه ويزيل وحشته

الإكثار من ذكر الله يزيل الوحشة التي بين العبد وبين ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

ففي القلب فاقَةٌ لا يسدها إلا محبة اللّهِ والإقبال عليه والإنابة إليه، ومن لَمْ يظفر بذلك: فحياته كلها هموم وغموم، وآلامٌ وحسرات.

فالذكر يجعل القلب متعلق بمولاه يأنس به ويتلذذ بذكره، بخلاف الغافل فإنه بينه وبين الله وحشه جاءت إليه بعد غفلةٍ عن ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فالعاصي والمعرض عن ذكر الله تعالى يجد في قلبه وحشة بينه وبين الله جَلَّ وَعَلَا، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة، وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة.

فاحذر أن تغفل عن ذكر ربك حتى تأنس به وتطمئن إليه، فالذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لَمْ يغلقه العبد بغفلته.

ذكر الله في الرخاء نجاة من الشدة والبلاء

كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في الرخاء سبب لنجاة العبد في حال الضراء.

إن ما يذكر به العبد ربه عَزَّوَجَلَّ من جلاله وتسبيحه وتحميده يُذكر بصاحبه عند الشدة والبلاء.

قال النبي ﷺ: «إن ما تذكرون من جلال الله عَزَّوَجَلَّ من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به؟». رواه أحمد

فمن كان يذكر ربه عند الرخاء، فإن ربه يذكره عند الأزمة، فيفرج كربته، ويقضي حاجته، ويجعل له مخرجًا من ضيقه، وفرجًا من همِّه وغمه.

وذلك أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة والبلاء فأنجاه بفضله ومنته.

عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾: اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشّدّة والبلاء. تفسير البغوي

وقال النبي ﷺ: «تعرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يعرفُك في الشدَّةِ». رواه الترمذي

ذكر الله أمن وطمأنينة في الدنيا ووقاية من عذاب الآخرة

الذكر ينجي من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويروي مرفوعاً: «**ما عمل آدمي عملاً أنجى من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ من ذكر الله تعالى**». رواه أحمد

والمعنى: أنه لا توجد عبادة يفعلها المسلم تكون سببا في نجاته من عذاب الله أفضل من الذكر، فهو المنجي من عذاب الله تعالى.

وإذا كان الذكر سبب للطمأنينة والأمن في الحياة الدنيا فإنه يكون سبب للأمن من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

والقرآن أعظم الذكر؛ لذا فإن سورة الملك تمسى: المنجية والمانعة من عذاب القبر، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**». رواه الحاكم وصححه

وقال تعالى عن الاستغفار: ﴿**وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهم وهم يَسْتَغْفِرُونَ**﴾.

فجاء باسم الفاعل الذي لا يختص بزمان، حيث أراد نفي وقوع العذاب بالمستغفرين على العموم فنفى وقوع العذاب على المستغفرين في الدنيا والآخرة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خذوا جُنَّتكم**»، قلنا: يا رسول الله، من عدوٍّ قد حضر؟ قال: «**لا، جُنَّتكم من النار، قولوا: سُبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ فإنها يأتين يوم القيامة منجيات ومقدَّمات، وهن الباقيات الصالحات**». أخرجه النسائي

الذكر والاجتماع عليه أنس القلوب ومغفرة الذنوب

ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والاجتماع عليه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله؛ يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْ بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**». رواه مسلم

وايضاً هو سبب لمغفرة الذنوب وتبديل السيئات إلى حسنات، قال النبي ﷺ: «**ما مِن قومٍ اجتمعُوا يذكرونَ اللهَ، لا يُريدون بذلك إلَّا وجهَهُ، إلَّا ناداهُمْ مُنادٍ مِن السماءِ: أنْ قُومُوا مغفورًا لكم، قدْ بُدِّلَتْ سيِّئَاتُكُمْ حسناتٍ**». رواه أحمد

وعند "الترمذي" عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مَرَرْتُم بِرياضِ الجنَّةِ فارْتَعُوا**» قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «**حِلَق الذِّكر**».

ومن عظيم مجالس الذكر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الله يباهي بالذاكرين ملائكتَه، وخرج رسول الله ﷺ خرج على حَلْقَةٍ من أصحابه، فقال: «**ما أجْلَسَكُم**»؟ قالوا: جلسنا نَذْكُرُ الله تعالى ونَحْمَدُه على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: «**آللّهِ ما أجْلَسُكُم إلَّا ذاك؟**» قالوا: واللّه ما أجْلَسَنَا إلَّا ذَاك، قال: «**أما إنِّي لم أسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكم، ولكنّه أتَاني جبريلُ فأخبرني أنَّ الله يباهي بِكم الملائكة**». رواه مسلم

فهذه المباهاة من الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دليلٌ على شرف الذكر عنده، ومحبته له، وأن له مَزِيَّة على غيره من الأعمال.

الذكرُ يُطهِّر اللّسان ويصدّه عن اللغو

الذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش.

فالاشتغال بالذكر اشتغالًا عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح الناس وذَمِّهم، وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت البتة، فإما لسانٌ ذاكر وإمَّا لسان لاغٍ، واللسان إنْ لم تشغله بالذكر شغلك باللغو.

والذكر -وخاصة الاستغفار- يهذب اللسان عن النطق بالقول الذي لا يليق.

فعن حذيفة ﵁ قال: كان في لساني ذَرَبٌ على أهلي -وكان لا يعدوهم إلى غيرهم- فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقال: «أين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة». رواه أحمد

ومعنى ذَرَب اللسان: حدته وشره وفحشه.

فمن أراد تقويم لسانه وتهذيبه فعليه بوصية النبي ﷺ لحذيفة ﵁ بكثرة الاستغفار وأنه العلاج بإذن الله تعالى.

الذاكر لله تعالى لا يشقى أحد بمجالسته

الذاكر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُسْعدُ نفسَهُ ويُسْعد جلساءَه، وهذا هو المبارك أينما كان، والغافل واللاغي يشقى بلغوه ويشقى به الذي يجلس معه.

والذاكرُ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا ذكر الله في تلك المجالس كان سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة، وهذه من بركات الذكر. وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فربّما رحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنبا، وربّما بكى فيهم باك من خشية الله فوهب أهل المجلس كلّهم له.

فما أسعد جلساؤه به! إذ كان سبب ذلك كله فما أسعد من عطر مجالسه بذكر الله! وكان سبب البركة على أهله وجلسائه، فذكر الله تعالى هو رياض جنة الصالحين التي فيها يتقلبون ومنها يتزودون وبها يسعدون. فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]، فهكذا المؤمن مبارك أين حَلَّ، والفاجر مشؤوم أين حَلّ.

فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلٌّ مضافٌ إلى شكله وأشباهه، وكلُّ امرئ يَصْبُو إلى ما يناسبه.

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل أو يجالسه فلينظر: هل هو من أهل الذكر، أو هو من الغافلين؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف: ٢٨

الذكر عطر المجالس ونجاة من الحسرة يوم القيامة

الذكر يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة». رواه أبو داود

وفي هذا الحديث بيان أهميّة ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في كل الأحوال، والحث على ذكر الله في كل المجالس، وأن تعطر كل مجلس تجلسه بذكر الله تعالى حتى لا يكون ذلك المجلس عليك حسرة وندامة يوم القيامة.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «ما مِن ساعةٍ تَمُرُّ بابنِ آدم لا يَذْكُر الله تعالى فيها إلا تَحَسَّرَ عليها يوم القيامة». رواه البيهقي في "شعب الإيمان"

فأيُّ لحظةٍ غفل فيها العبد عن ذكر الله تعالى كانت عليه لا له، وكان خُسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله تعالى.

الذاكر البكّاء في ظلّ عرش الرحمن

ذكر الله تعالى مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى للعبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عَزَّوَجَلَّ، قال عليه الصلاة والسلام: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -وذكر منهم-: ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**». متفق عليه

وكون ذلك في الخلوات دليل على تمام الإخلاص وانتفاء الرياء، وذكر الله في الخلوات دليل على تعظيم الله على جميع الحالات والأوقات، وهو أيسر أعمال السبعة الذين ذُكرهم النبي ﷺ في هذا الحديث.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**». رواه الترمذي

وقال رسول الله ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشيه الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**». رواه الترمذي

الذِّكر مفتاح أعظم العطاء

الاشتعال بالذكر سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين﴾». رواه الترمذي

ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدي حاجته ثم يسال حاجته كما في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبي! فقال رسول الله ﷺ: «عَجِلَ هَذَا»، ثم دعاه فقال له: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء». رواه الإمام أحمد والترمذي

فالذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناء على الله عَزَّوَجَلَّ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟!

جاء في الحديث عند الترمذي: «أفضل الدعاء الحمد لله». قيل لسفيان بن عيينة: كيف جعلها دعاء؟ قال: أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان يرجو نائله: أأذكر حاجتي أم قد كفاني *** حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما *** كفاه من تعرضه الثناء

فهذا مخلوق واكتفى من مخلوق بالثناء عليه من دون أن يسأله، فكيف برب العالمين؟

قال يحي بن معاذ: العبد على قدر لهجته بذكر الله يديم ألطاف بره. والمقصود من هذه الفائدة: أن من أراد دوام الخير والعطاء فليلزم كثرة الذكر والدعاء.

الذكر فضلٌ عظيم في عملٍ يسير

الذكر من أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الانسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك!

لذا فإن الله أمر بالإكثار من الذكر بلا حد وأثنى على المكثرين منه.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثُمَّ عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإنّ الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في ترْكه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿فاذْكُرُوا اللَّهَ قِيامًا وقُعُودًا وعَلى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغِنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال. أخرجه الطبري في تفسيره.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه. والمعنى: في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه، وسواء كان على طهارة أو على حدث.

ففي كل جارحة من جوارح الإنسان لها عبودية مؤقته، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقته بل هم مأمورون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قيامًا وقعودا وعلى جنوبهم.



غراس الجنة وبناؤها

ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غراس الجنة، فقد روى الترمذي في من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وعند الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرا في الجنة». فقال عمر بن الخطاب: إذا نستكثر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب». رواه أحمد

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وغراسها التسبيح والتكبير والتّـ .. .. ـحميد والتوحيد للرحمن

تبا لتارك غرسه ماذا الذي .. .. قد فاته من مدة الإمكان

دوام الذكر أمانٌ من نسيان الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى

دوام ذكر الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوجب نسيان العبد لنفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا بد كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيَّع مصالحَه فإنه يفسد ولا بد.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها!

فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۝﴾

وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله جَلَّ وَعَلَا، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

الذكر يملأ خَلّة القلب

إن في القلب خلة وفاقه لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة، فيكون صاحبه غنياً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مهيباً بلا سلطان!

فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فهو بضد ذلك فقير مع كثرة ماله، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

وأشد عقوبة في الدنيا أنْ يمسك الله لِسانك عن ذِكره ويحرمك من منجاته.

وقال ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ -وهو يصف حاله مع الذكر والتعلق بالله تَبَارَكَوَتَعَالَى-: وعَلِمَ اللهُ ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس.

وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينةً، وهذا هو النعيم الذي لايشبه نعيم وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين.

ذكر الله يجمع شتات القلب

ذكر الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يجمع المتفرق ويفرّق المجتمع، ويقرّب البعيد ويبعّد القريب، فيجمع ما تفرّق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته.

ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات وعلى فوت حظوظه ومطالبه.

ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل.

فمن أعرض عن ذكره الذي أنزله فله من ضيق الصدر، ونَكَدِ العيش، وكثرة الخوف، وشدة الحرص، والتعب على الدنيا، والتحسر على فواتها والتعلق بها على قدر إعراضه.

والقرآن الكريم أعظم الذكر الذي من تمسك به لا يضل ولا يشقى.

قال النبي ﷺ: «عليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض». رواه أحمد

يقظة القلب تبدأ بالذكر

الذكر ينبّه القلب وغفلته من نومه، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

وذلك أن العبد أن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير.

ولا يستيقظ القلب إلا بالذكر، فالغفلة نوم القلب أو موته.

فأي فلاح ونجاح أن يجعل الله قلبك بعيد عن الغفلة وقد وعد الله عباده الذين يذكرونه بالفلاح بل حثهم على الإكثار منه، حيث يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فوعد الله تعالى المكثرين من ذكره بالفلاح ومن أصدق من الله قيلا.

معية الله الخاصة بالذاكرين

الذاكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قريب من مذكوره، ومذكوره معه وهذه المعيّة معيّة خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية القرب الولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله عَزَّوَجَلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾

وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر: كما في الحديث الإلهي: ﴿أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ﴾.

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، لذا يجد المكثر من ذكر الله تعالى من التوفيق والتسديد وحسن الرأي وسداد القول ما لا يجده الغافل عن ربه.

ثواب الذكر يفوق كل الأعمال

الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وقد تقدم أن «من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى يمسي...» الحديث.

وقال ابن مسعود: لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. رواه ابن أبي شيبة

وجلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فقال عبد الله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي من أنفق عددهن دنانير في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا. فقال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لأن أجد في طريق فأقولهن أحب إلي من أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. رواه البيهقي

وقد تقدم حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «اذكروا الله». رواه الترمذي

ذكر الله رأس الشكر وزيادة النعم

الذكر لله عَزَّوَجَلَّ رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «والله يا معاذ إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بينهما في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح.

وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «رب قد أنعمت علي كثيراً، فدلني على أن أشكرك كثيراً» قال: ﴿اذْكُرْنِي كَثِيْراً، فَإِذَا ذَكَرْتَنِي كَثِيْراً فَقَدْ شَكَرْتَنِي كَثِيْراً، وَإِذَا نَسِيْتَنِي فَقَدْ كَفَرْتَنِي﴾.

وقد ذكر البيهقي أيضاً في شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «يا رب، ما الشكر الذي ينبغي لك؟» فأوحى الله تعالى إليه أن: ﴿لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبَاً مِنْ ذِكْرِي﴾.

الذكر دلالة الكرامة عند الله

إن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين مَنْ لا يزال لسانه رَطْبًا بذكره.

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله قال: قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا رب، أيُّ خلقك أكرم عليك؟» قال: ﴿الَّذِي لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا بِذِكْرِي﴾. أخرجه البيهقي في شعب الايمان بسند حسن

وذَكَر أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا وفد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى طور سيناء قال: يا رَبِّ، أيُّ عِبادكَ أحَبُّ إليك؟ قال: ﴿الَّذِي يَذْكُرُنِي وَلَا يَنْسَانِي﴾. أخرجه البيهقي في شعب الايمان بسند حسن

ومن وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأم أنس أنه قال لها: «**وأكثري من ذكر الله، فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه مِن كثرة ذكره**». رواه الطبراني

الذكر يليّن القلب القاسي

إن في القلب قسوةً لا يُذِيبها إلّا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

قال رجل للحسن رحمه الله: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أَذِبْهُ بالذِّكر. رواه البيهقي في "شعب الإيمان"

وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله فذكر الله يلين القلب القاسي.

ومعلوم أن قسوة القلب من أمراض القلوب، وقد ذم الله جَلَّ وَعَلَا أصحاب القلوب القاسية وتوعدهم فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «وإنَّ أبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ القَلْبُ القَاسي». رواه الترمذي

ولا دواء لهذه القسوة أفضل من ذكر الله تعالى وكثرة التوبة والاستغفار.

الذكر شفاء القلب ودواؤه

الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى.

قال مكحول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذِكْرُ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ شفاء، وذِكْرُ الناس داء.

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء. أخرجه هناد في الزهد

فإذا شعرت بأن القلب مريض وأنه معتل فعليك بالدواء الشافي والعلاج الكافي، وهو الإكثار من ذكر الله تعالى وكثرة الاستغفار وكثرة تلاوة القرآن.

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكرِكُمْ *** فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

كان أبو مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكثر ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، فرآه رجل يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم فقال له: ليس هذا بالجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواء الجنون.

ذكر الله أصل الموالاة، والغفلة سبب المعاداة

الذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أصلُ موالاة الله ورأسُها، والغفلة أصل معاداته وأُسُّها.

فإن العبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه ويعاديه.

قال حسان بن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: ما عادى عبدٌ ربَّه بشيءٍ أشدَّ عليه من أن يكره ذكره أو يكره من يذكره.

فهذه المعاداة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره، فحينئذ يتخذُه عدوًّا كما اتخذ الذَّاكر وَليًّا.

قال الربيع بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ -عن بعض أصحابه-: علامة حب الله عَزَّوَجَلَّ كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره.

وقال فتح الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ: المحب لله لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

وقال ذو النون رَحِمَهُ اللَّهُ: من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وقال إبراهيم بن الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يقال: من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع المرء بذكر الله عَزَّوَجَلَّ إلا أفاد منه حب الله تعالى.

كيفَ يَنْسى المُحبُّ ذِكْرَ حَبيبٍ *** اسمُـهُ في فُـؤَادِهِ مكتـــوبُ؟!



ذكر الله يجلب النعم ويدفع النقم

إنه ما استُجْلبت نِعم الله واسْتُدفِعت نِقَمُه بمثل ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالذكر جلّابٌ للنِّعم، دفّاعٌ للنِّقَم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ﴾ [الحج: ٣٨]، فَدَفْعُه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادّةُ الإيمان وقُوَّتُه بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا كان دَفْعُ الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نَقَصَ نَقَصَ، ذِكْرًا بِذِكْرٍ، ونسيانًا بنسيانٍ.

وقال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]

والذِّكْرُ رأس الشكر -كما تقدم- والشكرُ جَلَّابُ النِّعَم، ومُوجِبٌ للمزيد.

قال بعض السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ما أقبح الغفلة عن ذكر مَنْ لا يَغفُلُ عن بِرِّك!.

فالله سبحانه ذاكر لمن ذكره شاكر لمن شكره، فَذكره سَبَب لذكره وشكره سَبَب لزيادته.

بالذكر تدرك من سبقك في الطاعات

إدامة الذكر تنوب عن الطاعات، وتقوم مقامها -سواء كانت بدنيّة أو ماليّة، أو بدنية مالية كحج التطوع-.

وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن فقراء المهاجرين أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرجَاتِ العُلى، والنَّعيم المُقيم، يُصلُّونَ كما نُصلِّي ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ولهُمْ فَضْلُ أمْوال يَحُجُّون بها، ويَعْتَمِرُون، ويجاهِدُون، فقال: «ألا أعَلِّمُكُم شَيْئًا تُدْرِكُون به مَنْ سبَقَكُم، وتَسْبِقُون به من بَعْدَكُم، ولا أحَد يكُونَ أَفْضلَ مِنْكُم إلا من صنع مِثْلَ ما صنَعْتُم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تُسَبِّحُون، وتَحْمَدُون، وتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كلِّ صلاة...» الحديث. متفق عليه

فجعل الذِّكر عِوَضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يَسْبِقُونَهُم بهذا الذِّكر.

وفي حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، كثرت عليَّ خِلال الإسلام وشرائِعُه، فأخبرني بأمرٍ جامعٍ يكفيني. قال: «عَلَيْكَ بِذِكْرِ الله تعالى» قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قال: «نعم، ويَفْضُلُ عنْكَ». رواه الترمذي والحاكم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له "جُمْدَان" فقال: «سيروا، هذا جُمْدَان، سَبَق المُفَرِّدُونَ» قيل: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال: «الذّاكرون الله كثيرًا والذَّاكرات». رواه مسلم



بالذكر تسهُل الطاعات وتتلذّذ بها النفس

ذكر الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من أكبر العون على طاعته؛ فإنه يُحَبِّبُها إلى العبد، ويُسَهِّلها عليه، ويُلَذِّذُها له، ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمَه وسرورَه بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثِّقَل ما يجد الغافل.

والتجربة شاهدة بذلك، فإذا شقت عليك العبادة أو أحسست من نفسك كسلا عن الطاعة فأكثر من الذكر، فإنك ستجد خفة ونشاطا عجيبا في القيام بالطاعات، وستجد زيادة على ذلك المحبة والتلذذ بالعبادات.

ولا يزال العبد يعاني الطاعة، ويألفها، ويحبّها، ويؤثرها حتى يرسل الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ برحمته عليه الملائكةَ تؤزُّه إليها أزًّا، وتحرّضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها، فمن كان ذكره لله كثيرا كانت الطاعة عليه أسهل وأيسر.



بالذكر تزول الشدائد والكروب

ذكر الله تعالى يُسَهِّل الصَّعْب، ويُيَسِّر العسير، ويُخَفِّفُ المَشَاقَّ، فما ذُكِرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على صعبٍ إلا هان، ولا على عَسيرٍ إلا تَيَسَّر، ولا مشقَّةٍ إلا خَفَّتْ، ولا شِدَّةٍ إلَّا زَالت، ولا كُرْبَةٍ إلا انفرجت، فَذِكْرُ الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليُسْرُ بعد العُسْرِ، والفرج بعد الغم والهم.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم».

ذكر الله تعالى يستدفع به الذاكرون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظَلَّهم البلاءُ فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلَّبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدعُ القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا.





الذكر يبدّد المخاوف ويقوي الإيمان

ذكرُ الله تعالى يُذْهِب عن القلب مَخَاوِفَه كلَّها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله تعالى فإنّه بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوفَ التي يحذرها أمانٌ له.

والغافلُ خائف مع أَمْنِه، حتى كأنَّ مع ما هو فيه من الأمنِ كلّه مخاوفٌ، ومَنْ له أدنى حِسٍّ قد جَرَّبَ هذا وهذا، والله المستعان.

والذكر والاستغفار من أسباب أمان المسلم في الدنيا والنجاة يوم القيامة، فمن ذكر الله وهو خائف آمنه الله ومن ذكر الله وهو مستوحش آنسه الله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

وقال النبي ﷺ: «أنزل الله عليّ أمانين لأمتي: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة»، رواه الترمذي

وقال ﷺ: «العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله». رواه أحمد

فإن الله وعَدَ أن لا يعذب المستغفرين من عباده وأنهم في أمان الله وحفظه ورعايته

تصديق الرب لأهل الذكر

الذكر سببٌ لتصديق الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعبدِه، فإنه خَبَرٌ عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربُّه، ومن صدَّقه الله تعالى لم يُحْشَرْ مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُحْشَر مع الصادقين.

قال رسول الله ﷺ: «إذا قال العَبْدُ: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله: ﴿صَدَقَ عَبْدِي، لا إله إلا أنا، وأنَا أكْبَرُ﴾

وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: ﴿صدق عبدي، لا إله إلا أنا وَحْدي﴾،

وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: ﴿صدق عبدي، لا إله إلّا أنا، ولا شريك لي﴾،

وإذا قال: لا إله إلّا الله له الملك وله الحمد، قال: ﴿صدق عبدي، لا إله إلّا أنا، لي الملك ولي الحمد﴾،

وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: ﴿صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي﴾». أخرجه الترمذي



شهادةُ البقاع للذاكرين

إنَّ الجبال والقفَار تَتَباهى، وتَسْتَبْشِر بمن يذكر الله عليها.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله؟ فإذا قال: "نعم" اسْتَبْشَر). أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنّف"

وفي دوام الذكر في الطريق، والبيت، والحضر، والسفر، والبقاع تكثيرَ الشهود للعبد يوم القيامة؛ فإن البقعة، والدار، والجبل، والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: «أَتَدْرُونَ ما أخْبارُها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ أخْبارها أنْ تشهدَ على كُلِّ عَبْدٍ أوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِها، تقول: عَمِل يوم كذا، كذا وكذا». رواه الترمذي

الذكر أمان النفاق

كثرة ذكر الله أمانٌ من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله تعالى.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال كعب: (مَنْ أَكْثَرَ ذكر الله برئ من النفاق). أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"

ولهذا -والله أعلم- ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)﴾ [المنافقون: ٩]؛ فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله فوقعوا في النفاق.

فمن علامة النفاق: قِلَّةُ ذِكْرِ الله تعالى، وكثرةُ ذكره أمانٌ من النفاق، واللهُ تعالى أكرمُ من أن يبتلي قلبًا مكثرا من ذكره بالنفاق.

ثم إن الذي يذكر ربه وهو خالياً ليس عنده أحد فإن هذه من دلائل وعلامات صدق الإيمان والبعد عن النفاق.

إقامةُ ذكر اللهِ تعالى هي مقصدُ العبادات الأعظم

جميع الأعمال إنما شُرِعَتْ إقامةً لذكر الله تعالى، والمقصودُ بها تحصيلُ ذكر الله تعالى، ولِأنَّ المَقْصُودَ من الطاعات كُلِّها: إقامَةُ ذِكْرِ الله تعالى فَهو سِرُّ الطّاعاتِ ورُوحُها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]

واللام للتعليل ، أي: أقِمِ الصلاة لأجل ذكري.

وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

والمَعْنى: أنَّكم إذا ذَكَرْتُمُوهُ ذَكَرَكم فكانَ ذِكْرُهُ لَكم أكْبَرَ مِن ذِكْرِكم لَهُ، ولَذِكْرُ اللَّهِ أكْبَرُ مِن أنْ يَبْقى مَعَهُ فاحِشَةٌ ومُنْكَرٌ، بَلْ إذا تَمَّ الذِّكْرُ: مَحَقَ كُلَّ خَطِيئَةٍ ومَعْصِيَةٍ.

وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟! ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ تفسير الطبري

وفي "السنن" عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «إنَّما جُعِلَ الطَّوافُ بالبَيْتِ، وبَيْن الصَّفا والمَرْوَةِ، ورَمْيُ الجِمَارِ؛ لإقامة ذِكرِ الله تعالى». رواه أبو داود والترمذي



أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ

إن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله جَلَّوَعَلَا، فأفضل الصُّوَّام أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ في صومهم، وأفضل المُتصدِّقين أكثرُهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، وأفضلُ الحجاج أكثرُهم ذكرًا لله جَلَّجَلَالُهُ، وهكذا سائر الأعمال.

عن سهل بن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أن رجلًا سأله فقال: أي الجهاد أعظم أجرا يا رسول الله؟ قال: «**أكثرهم لله ذكرا**»، ثم قال: أي الصائمين أعظم؟ قال: «**أكثرهم لله ذكرا**»، ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة كلا ورسول الله ﷺ يقول: «**أكثرهم لله ذكرا**»، فقال أبو بكر: ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**». رواه أحمد

وقال عبيد بن عمير: إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخلتم على المال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه: فأكثروا من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.



الخاتمـــــــــــة

هذه بعضُ فضائلِ الذِّكر، فمَن تَدبَّرها أَلِفَ الذِّكر، ولَزِمَه، ومَن لَزِمَه لم يُفارِقْهُ خيرُه وبركتُه.

فلا تحرم نفسك لذة الذكر، ولا تحجب قلبك عن بركاته.

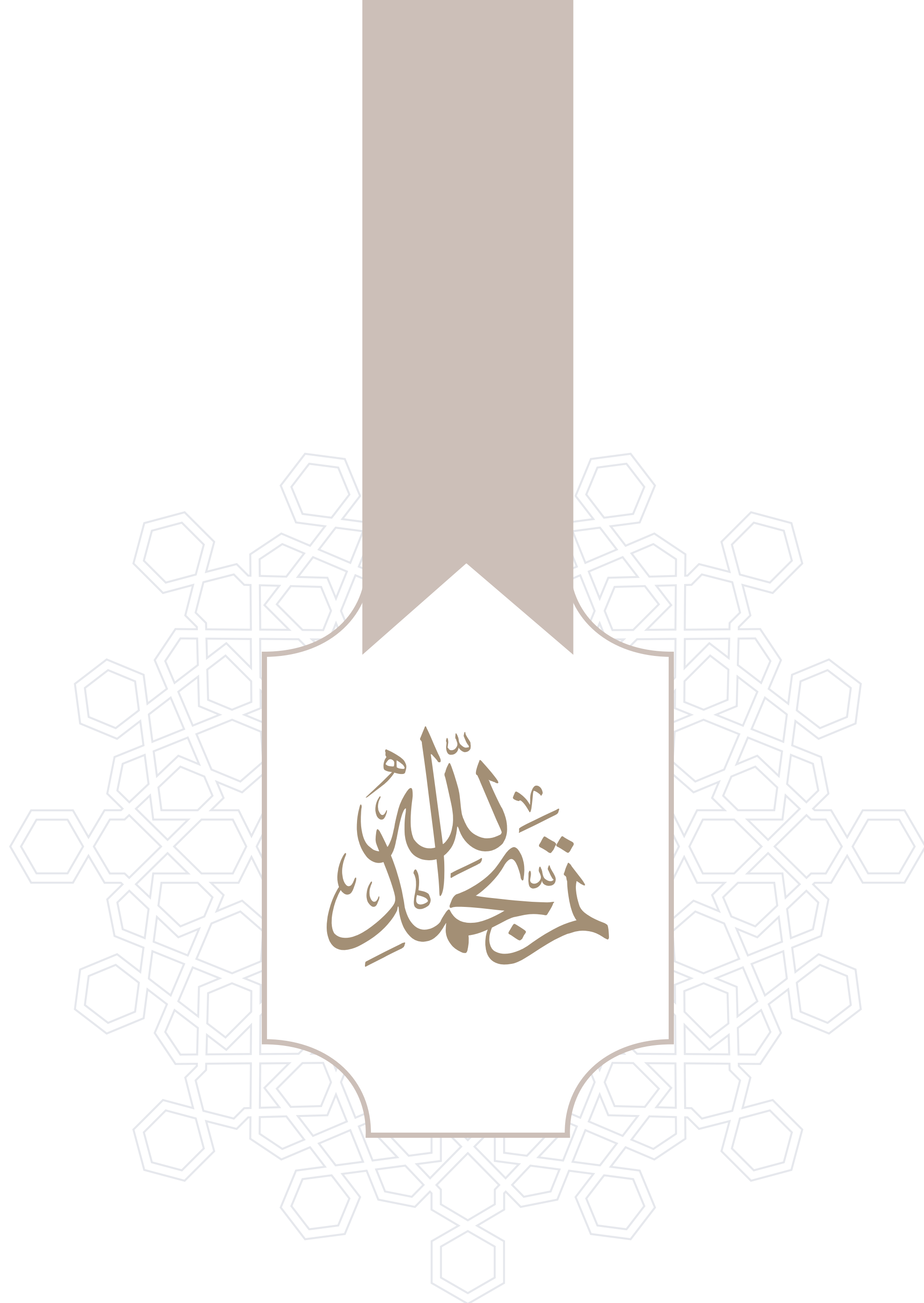
وأدم قرع باب مولاك، فإن من أكثر من ذكر الله ألِفته الرحمة، ورافقته السكينة، وصحبته البركة في دنياه وآخرته.

فاجعل ذكر الله أنيسك، ورفيقك، وزادك، فهو دواء القلوب، وراحة النفوس، وجنّةٌ تمشي معك حيثما ذَكرت الله جَلَّ جَلَالُهُ.

تمَّ بعون الله يوم السبت

الموافق السادس والعشرين من شهر شعبان لعام ١٤٤٧ هجرية

عبد الرحمن بن مسعود الحربي


الحمد لله

فوائد الذكر

منتقاة من كتاب

الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب

للإمام

ابن قيم الجوزية

إعداد

عبد الرحمن بن مسعود الحربي

إعداد

عبد الرحمن بن مسعود الحربي